هم وإذ تأذن ربك وإذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا
لون أي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة
ك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وإرادة أن يرجعوا
فري ذريتهم على التوحيد وإذ يتقولوا بالباطل واتل عليهم على اليهود نبأ الذي
خ منها هو عالم من علماء بني إسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء
يه فانسلخ منها من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره فأتبعه الشيطان
ركه وصار قرينا له أو فأتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه فكان
ن الضالين الكافرين وروي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن معه
ولم معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها
إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا
واه وقيل مال إلى السفالة فإن قلت كيف علق رفعه بمشيئته ولم
يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها
ن مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة
قيل ولو لزم لرفعناه بها ألا ترى إلى قوله ولكنه أخلد إلى الأرض فاستدرك
الذي هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام
يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث
صفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي
به واتصاله سواء حمل عليه أي شد عليه وهيج وطرد أو ترك غير متعرض له
أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج منه وحرك وإلا لم يلهث
ه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها و
لناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه أبلغ
الكلب في أخس أحواله وأذلها بمعنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع
ل عليه أو لم تحمل عليه وقيل معناه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال
لهث وإن تركته على حاله لهث فإن قلت ما محل الجملة الشرطية
على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما
خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم
منه اليهود بعدما قرؤوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر
يه وبشر الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص
بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون الذي مثل عاقبته إذا
وزاغوا نحو زيغه ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقانا بك
ما لهم ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا أي ساء مثل القوم أو ساء مثل أصحا
ري ساء مثل القوم وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن يكون معطوفا على كذبوا
بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وإما أن يكون كلاما
لة بمعنى وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص
أنفسهم بالظلم لم يتعدها إلى غيرها من يهد الله فهو المهتدي حمل على اللفظ ومن
الخاسرون حمل على المعنى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب
هم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها كثير من الجن والإنس هم المطبوع
علم الله أنه لا لطف لهم وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق
ون أعينهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم سماع تدبر كأنهم
ب وإبصار العيون وإسماع الآذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدة
نه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات

وعلمهم

وعلمهم بما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد بلغني أن أهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الأمور ما خلق فلان إلا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه النبي الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار أولئك كالأنعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم أضل من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار ولله الأسماء الحسنى التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا نخي أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ويجوز أن يراد ولله الأوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل إلحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فأخبر أن كثيرا من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار أتبعه قوله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وعن النبي عليه السلام أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه صلى الله عليه وسلم إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة قال الأعشى

فلو كنت في جب ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره ... وتعلم أني عنكم غير مفحم

ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في إثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه وأملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين إن كيدي متين سماه كيدا لأنه شبيه بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ما بصاحبهم محمد صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر ومجنون وعن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم هم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت إلى الصباح إن هو إلا نذير مبين أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السماوات والأرض فيما تدل عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وأن عسى أن مخففة من الثقيلة والأصل أنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ولعلهم يموتون عن قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الأجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الأجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي قبلها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)